

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل مكة المكرمة – (عيد الأضحى ١٤٣٧ هـ)

لشاهين الرحمن

الخطبة الأولى

الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر.

الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر.

الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر.

الله أكبر عدد من يزور البيت العتيق. الله أكبر عدد ما بشأنه يليق.

الله أكبر ما أحرم محرّم وحلق وقصر. الله أكبر ما هلل مهلل وحمد وكبر.

الله أكبر ما سعى ساع بين المروة والصفاء. الله أكبر كما أثبت الكبرياء لنفسه، وكفى.

الله أكبر. الله أكبر. لا إله إلا الله، والله أكبر. الله أكبر، والله الحمد.

الحمد لله المولى؛ جلّ وعلا؛ علم خلقه فهدى. شرع لنا يوميّ الفطر والأضحى. أشهد أن لا إله

إلا هو، وحده؛ لا شريك له – له المثل الأعلى، وله الحمد في الآخرة والأولى. وأشهد أن محمداً عبده

المصطفى، ورسوله المجتبي؛ أوضّح مناسك الحجّ، وما نطق عن الهوى. أتخفّ أمة القرآن بطريقتهم المثلى.

والصلاة والسلام عليه، وعلى آله، وأهل بيته، وصحابته، وجميع من تبعهم بإحسان واهتدى.

أما بعد: فلا تنسوا الله عز وجل في يوم العيد وأيام الفرح والسرور؛ بل اتقوه، ولا يعزّنكم به الشيطان

الغرور. إن ربكم يذكركم بأن الشيء الذي يصل إليه ليس بعبادتكم وأضحيتكم – وإن كانت موجبة



لأضعافِ الأجور - وإنما تصل إليه تقواكم، كما قال الرحيم الغفور: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ لَتَمَوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَيُبَيِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج: ٣٧/٢٢]. وأخرج أبو داود في «سننه» (٢٨١٣) عن نُبَيْشَةَ رضي الله عنها، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «[...] أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الْأَيَّامَ أَيَّامٌ أَكَلَ وَشَرِبَ وَذَكَرَ اللَّهَ ﷻ».

يقول المثل السائد: «الجار ثم الدار». فبمعرفة عظمة الله تُعرَف مكانة الكعبة وما حولها من الأشجار والأثمار. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ فِيهِ ءآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا قَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

وإليكم ما أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٥٨٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ [...].»

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٥١﴾﴾ [الحج: ٢٢/٢٥]. وقال الإمام ابن كثير رضي الله عنه: «ولهذا لما هم أصحاب الفيل على تخريب البيت أرسل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول. فدمرهم وجعلهم عبرة ونكالا لكل من أراد بسوء»^(١).

لذا، قال رسول الله ﷺ في الحديث السابق ذكره: «[...] لَا يُعْصَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يَنْفَرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ لَقِطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا».

ولا يخفى فضل مكة في حديثٍ رواه الترمذي (٣٩٢٥) - وصححه - وابن ماجه (٣١٠٨) عن عبد الله بن عدي بن الحمراء رضي الله عنه أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفاً بالحزورة، فقال: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولو لا أني أخرجت منك ما خرجت».

(١) «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير رضي الله عنه، عند تفسيره لآية: [الحج: ٢٢/٢٥].



أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي، ولكم، ولسائر المسلمين؛ فاستغفروه، ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ

الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور: ٢٤/٣١].



الخطبة الثانية

الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر.

الله أكبر. الله أكبر.

الله أكبر. الله أكبر.

الله أكبر. الله أكبر. لا إله إلا الله، والله أكبر. الله أكبر، والله الحمد.

الحمد لله الحميد، ذي العرش المجيد، الذي لا يفنى ولا يبئد، يؤتيهم ما يشاؤون في الجنة ولديه مزيد. أشهد أن لا إله إلا الله، وحده؛ لا شريك له - أمرَ بأكل البُدنِ وإطعامها في أيام العيد. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ تكفل بعد إبراهيم بإثبات عقيدة التوحيد. صلى الله عليه، وعلى أهل بيته، وصحابته، وجميع أمته، وسلّم تسليماً كثيراً، كما يشاء ويريد.

أما بعد: فأوصيكم، أيها الإخوة الكرام، بتقوى الله في حالتي الإحلال والإحرام؛ في عشر ذي الحجة وغيرها من الأيام. قال تعالى: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغَابِقَةَ الْحَرَامَ فَيَمَّا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَةَ دَلِيلًا لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٧-٩٨].

أما من لم يوفق لزيارة الحرم المكي هذا العام، فلا ييأس من رحمة الله القيّام. فقد كان رسول الله ﷺ أخرج من مكة لبضعة أعوام. روى الترمذي في «سننه» (٣٩٢٦) - وصححه - عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أطيبك من بلد، وأحبك إلي؛ ولولا أن قومي أخرجوني منك، ما سكنتُ غيرك».



ولله دَرّ القائل: «لأنَّ تكون في بلدٍ وقلْبك مشتاقٌ إلى مكة، متعلق بهذا البيت... خيرٌ لك من أن تكون فيه وأنت متبرِّمٌ بالمقام وقلْبك في بلد آخر»^(٢). ونجد تصديقه في القرآن، فقال جلَّ وعلا حكاية عن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٤ / ٣٧].

اللَّهُمَّ تقبَّل من المؤمنين والمؤمنات صالح أعمالهم، وكفِّر عن سيئاتهم. اللَّهُمَّ اجعل حجَّ الحجاج حجاً مبروراً، سعيهم سعيًا مشكوراً، وتجارتهم تجارةً لن تبور. اللَّهُمَّ وفَّقنا لزيارة الحرمين الشريفين مرَّاتٍ بعد مرَّاتٍ. اللَّهُمَّ زدنا حبًّا ببيتك المحرَّم، واجعلْ أقدِّدنا تهوي إليه - كما دعاك به أبونا: خليلك إبراهيم. اللَّهُمَّ احفظ الحرمين الشريفين، وزدَّهما شرفاً وتكريماً وتعظيماً. واحفظ اللهم المسجد الأقصى، وأقرِّ أعيننا بالصلاة فيه قبل المات.

اللَّهُمَّ وفَّقنا لما تحبُّ وترضى، وخذ بنواصينا للبرِّ والتقوى، واجعلْ آخرتنا خيراً من الأولى. اللَّهُمَّ ارزُقنا حبِّك، وحبَّ مَنْ يحبُّك، والعمل الذي يبلغنا حبِّك؛ اللَّهُمَّ اجعلْ حبَّك أحبَّ إلينا من أنفسنا، وأهلينا، ومن الماء البارد. اللَّهُمَّ حبِّبْ إلينا الإيَّمان، وزينِّه في قلوبنا؛ وكِّرْه إلينا الكفرَ والفسوق والعصيان؛ اللَّهُمَّ اجعلنا من الراشدين. ﴿ رَبَّنَا أفرِّغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢ / ٢٥٠].

عباد الرحمن! كفى بالقرآن واعظاً ومذكراً. قال تعالى: ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [المائدة: ٥ / ٩٩].

(٢) «إحياء علوم الدين» للإمام أبي حامد الغزالي عليه السلام، ربع العبادات، كتاب أسرار الحج، فضيلة المقام بمكة المكرمة حرسها الله تعالى وكراهته، دار المنهاج، الطبعة الأولى، عام ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ج (٣) ص (١٤٤).

